

# القوة الناعمة العراقية: اهمال حكومي وفرص مهدورة



خالد العرداوي

مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية

القوة كما يعرفها (نابليون هيل): المعرفة المنظمة الوجيهة بذلك لتحقيق هدف محدد. لهذا التعريف ميزة كبيرة عند توظيفه في حقل العلاقات الدولية؛ لأنه يجعل السياسة الخارجية للدولة عبارة عن حركة دائمة. تتطلب استثمار كل مصادر قوتها المتاحة بشكل منظم وذكي. لتحقيق أهدافها إزاء الدول الأخرى. هذه الأهداف هي المصالح العليا والأساسية التي تدافع عنها الدولة - وأحياناً - تقابل من اجلها. الحرب لم تكن في يوم من الأيام الخيار الأول للقادة العظماء لتحقيق مصالح بلدانهم. وإنما هي واحد من الخيارات المطروحة. وربما آخرها. حتى قال (صن تزو) في كتابه المشهور (فن الحرب): إن أعظم القادة من يحقق مائة انتصار في مائة معركة. وأعظم منه من يحقق مائة انتصار بدون الدخول في أي معركة. قوة الدول لا تقتصر على قدراتها العسكرية فقط. بل تتضمن مصادر أخرى كالوقوع الجغرافي للدولة وحجمها وعدد سكانها. فضلاً قدراتها الاقتصادية والتكنولوجية لينتج من كل هذه المعايير في النهاية مقدار القوة السياسية للدولة في المحيط الدولي. قوة الدول وتأثيرها في هذا المحيط لا تنحصر بما تقدم من مصادر. بل قد تحقق بعض هذه المصادر عاجزة عن تحقيق إرادة الدولة في ظروف معينة. كيف؟

إنّ تقدم وانتشار الأسلحة النووية وما بعد النووية. حجّم وسيحجّم مستقبلاً قدرات الدول في اللجوء الى قوتها العسكرية. لفرض إرادتها وخلق الانزعاج لها من قبل دول أخرى. تمتلك نفس المستوى من هذه القوة. بصرف النظر عن حجم تلك الدول وعدد سكانها ومستواها الاقتصادي. وربما تقتصر حروب المستقبل على الدول ذات القدرات العسكرية التقليدية البدائية. أو على الدول غير المتكافئة في هذه القدرات. كأن تكون دولة (أ) متقدمة عسكرياً بشكل كبير ودولة (ب) متخلّفة كثيراً عنها في القدرات التسليحية. ولا تمتلك أيضاً قدرات

الناعمة.. وسيلة النجاح في السياسة الدولية) الذي صدر عام ٢٠٠٤ هي: القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً من الإرغام او دفع الأموال. وهي تنشأ من جاذبية ثقافة بلد ما. ومثله السياسية. وسياساته. فعندما تبدو سياساتنا منشروعة في عيون الآخرين. تنتسج قوتنا الناعمة.

تمثّل هذه القوة -حسب ناي- القدرة على الجذب. والجذب كثيراً ما يؤدي الى الإذعان: لأنها: تستخدم نوعاً مختلفاً من العمل. لتوليد التعاون. وهو الإغذاب الى القيم المشتركة. والعدالة. ووجود الاسهام في تحقيق تلك القيم. بناءً على ما تقدم. تتجسد مصادر هذه القوة في الثقافة. والقيم السياسية. والسياسة الخارجية للدولة. وكلما اتسع رصيد دولة ما منها. اتسعت قدرتها على تنفيذ برنامجها في الميدان الدولي. وأن براعة لعب الدولة في هذا الميدان. تكون من خلال استخدامها كلا القوتين: الناعمة والصلّبة. في الزمان والمكان المناسبين. لتصبح حصيلة الدمج بينهما في النهاية ما سماه (ناي): القوة الذكية.

## العراق: موضوع جدل إقليمي ودولي مفضل

وبالحديث عن دولة مثيرة للجدل في محيطها الإقليمي والدولي كالعراق. نجد ارتباط علاقات هذا البلد خلال المدة السابقة لعام ٢٠٠٣. بالاستخدام المفرط للقوة الصّلبة ترتب عليها نتائج كارثية عليه. وعلى البلدان المجاورة. أمّا بعد التاريخ أعلاه. فتبدو علاقاته الدولية متراجحة وغير مستقرة. نتيجة: ضعف الدولة. وتدمير الكثير من مصادر قوتها العسكرية والاقتصادية. ترتب عليها خسارة كبيرة جداً. انعكست سلباً على قدرته في حماية مصالحه وفرض اجناده على الأطراف الدولية الأخرى. وما فاقم هذه الخسارة. هو الفشل شبه التام للحكومات المتعاقبة في استثمار مصادر القوة الناعمة للعراق. بطريقة ذكية وموجهة لحماية مصالحه. لقد سوّقت الحكومات العراقية. أو ساعدت على تسويق نفسها كنظام طائفي في محيطها الدولي. بدلاً من أنّ تسوّق نفسها كحكوماتٍ تمثّل وتمتلك ثقل الدولة العراقية برمتها. سمحت الصراعات الداخلية. والهجمة الإرهابية الشرسة ومن يقف خلف تمويلها ودعمها. والخطاب السياسي والإعلامي البائس. والفساد الإداري والمالي المؤسّف. بتكريس هذه الصورة في ذهن المتلقي الخارجي. ما أضعف المفاوضات العراقية في أي مفاوضاتٍ دوليةٍ يعقدّها. بل كان محل انتقاد واتهام مستمر. ترك نتائج مزمعة لا يمكن انكارها. كان من المطلوب لتصحيح الاختلال الحاصل في النظرة الدولية للعراق. إدراك حكومته

البلد. ويدفع الآخرين الى التركيز على هذا الصراع المقيت.

## الأدب والعصارات الأكاديمية

للأدب والفن العراقي: إيقاع وتأثير طيب لدى المتلقي العربي- على الأقل- جُذبه جلياً عندما تزور وتحدث مع الشعوب العربية: من المغرب العربي الى مشرقه. لكن لم يُبذل جهود وطنية ذات رؤية شاملة. لتطويره وزيادة جاذبيته. بل العكس هو الصحيح. إذ أصاب هذا القطاع الإهمال والانتهاج. ما دفعه الى الانحدار والتراجع المستمر. وحوّل في كثير من الأحيان الى قطاع مثير للشفقة. فُاقد لكل إبداع وقُدرة على مواكبة روح العصر. وهذا بحد ذاته يمثّل استخفافاً: ناجماً عن جهل بمصدر مهم من مصادر التأثير الإيجابي للعراق. ومستمر. هناك كثير من العرب الذين درسوا في الجامعات العراقية. وأصبحوا قادة سياسيين وأساتذة جامعات وقادة رأي في بلدانهم. وهم يحملون ذكريات طيبة عن العراق وشعبه. ويمثّلون قوة اجتماعية. مُنحازة فكرياً ولا شعورياً للعراق: كان لا بدّ من استثمارها أكثر من خلال التواصل الدائم بها. بكل طريقة ممكنة. فضلاً عن تعزيز مستوى الجامعات العراقية في استقطاب المزيد منهم. إلّا أن إهمال ذلك. ارتد سلباً على تطور التعليم في العراق. وعلى قدرة الدولة على استثمار وتطوير العلاقات مع قاعدة بشرية داعمة. ومؤيدة لها في الخارج. العراقيون في الخارج الذين هاجروا أو هُجّروا لسبب أو آخر. وأصبح الكثير منهم أرقاماً مؤثّرة في المجتمعات التي استقروا فيها. كان يمكن أن يكونوا قوّة عراقية مؤثّرة في تلك البلدان. تقوّد أعمالها التي تدعم وجهة النظر العراقية. لتنعكس بشكلٍ قراراتٍ لمصلحة بغداد. إلّا أنه تمّ إهمالهم بشكلٍ كبير. ولم تخصص برامج وطنية ذكية وموجهة لاستقطابهم. لا بنيتهم لعودتهم للعراق. ولكن بنيتهم الى لوبيات عراقية. تُشكّل امتداداً خارجياً للدولة العراقية. إنّ أقوى مصادر القوة الناعمة المهودرة للعراق الديمقراطية الناشئة بعد عام ٢٠٠٣. تلك الديمقراطية التي كان يمكن لها أن تشكل طوفاناً جارفاً من القيم الإيجابية على امتداد الشرق الأوسط. لا يقل تأثيره أبداً عن تأثير الثورتين: الفرنسية والأمريكية في العالم. لو كان لدى العراق قوى سياسية. صبّت اهتمامها على احترام وتكريس قواعد وأحكام الحكم الديمقراطي الرشيد.

إنّ الشرق الأوسط- كان وما يزال- يمثّل مركزاً مهماً من مراكز الحكم الدكتاتوري المستبد على مستوى جميع حكوماته. وقد استثمرت هذه الحكومات. لتكريس وتأييد وجودها. كل الشعارات من القومية

لضعفها العسكري والاقتصادي. والالتفات الى التركيز على استثمار مصادر القوة الناعمة لديها. بشكل أكثر كفاءة في المحيط الدولي. سيّما إنّها قوة أقل كلفة. ونتائجها الإيجابية مضمونة إن أحسن استخدامها: لأنّ للعراق مصادرًا مذهلة من القوة الناعمة. كثيراً ما تمّ إغفالها- جهلاً أو عمداً. وبالإمكان توظيفها بصورة أكثر فاعلية لتحقيق مصالحه الدولية. أول هذه المصادر: هو الموروث التاريخي للعراق. والذي يتجسد بحضارته القديمة: سومر وأكد وبابل وأشور. إذ ما زالت يلاذ ما بين النهرين في التفكير العالي. تمثّل مهد الحضارات الأولى. والتي تثير رغبة الكثير من أجل زيارتها والتعرف عليها. بل والوقوف أمامها بتبجيل واحترام. وكان بالإمكان توظيف هذا الأمر بعناية أكبر في جذب السياحة العالمية الترفيهية والآثارية. لاكتشاف هذا الموروث والتواصل من خلاله مع العالم. إلّا أن الحكومات العراقية منذ مدة طويلة. جَاهلت نصيحة السيد (صموئيل نوح كيرمر) في كتابه (السومريون: تاريخهم وحضارتهم. وخصائصهم) عندما دعا العراقيين الى عدم اهمال: اسلافهم من الماضي البعيد الذين فعلوا الكثير لا للعراق فحسب. ولكن للإنسان في انحاء العالم كافة. ضاعت على العراقيين فرصة سانحة للتواصل الحضاري مع العالم من خلال مآثر اجدادهم التي تعطيهم جاذبية وتأثير لا يُنكر على غيرهم.

## العراق: رمز عربي

يمثّل العراق في الذهن العربي. رمزاً مهماً من رموز قوته واعتزازه القومي والديني. فهو يمثّل حضرة العالم في القرون الوسطى. ومدنه الرئيسية: كالكوفة. البصرة. وبغداد. حيث كانت وما زالت هي من مدن العلماء والفقهاء. وعلى أرضه تشكلت المذاهب الإسلامية. وفيها دُوّن الأولياء والصالحين الذين هم مقصد العربي والمسلم من كل مكان. لا يمكن للتفكير العربي بالعراق أن يتحرر من هذه الصورة المؤثّرة التي جعل هذا البلد سيداً. تنساق النفوس إليه وتُعجب به. وتأنم لكل كارثة أو مصيبة. حتّى به. إلّا أن السياسة الخارجية العراقية. ومن يقوم على صناعتها تقطع باستمرار هذا الجسر. ولا تبني عليه ركائزاً صلبة. تُساعد على توثيق العلاقات مع العرب. بل والمسلمين عموماً. كما يشكل العراق في الوجدان الديني العالي. منبع الأديان التوحيدية الرئيسية في العالم. ولدى هذا العالم. شعورٌ فطري بالإغذاب اليه. لكن مع الأسف. لم يوظف هذا التأثير الناعم القوي بشكل صحيح من الحكومة والشعب العراقي بل على العكس. تمّ اختزال قيمة العراق ودوره الانساني بصراع طائفي لحظي. ينسف كل ما يمثله هذا

## صناعة ذرائع القتل في العراق

أكثر من مرّة تخرج عن السيطرة. فتتمّ عزل قائد عملياتها. وتعيين «أبو الوليد» بدلاً عنه. في عهده الذي لم يدم أسبوعاً. لم يتأخر القمع. فتتمّ استبداله «بجميل الشمري». ولم يتغير شيء. حتى أن محافظ ذي قار. عادل الدخيلي. وفي صبيحة اليوم - ونحن في ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر - طالب رئيس الوزراء عادل عبد المهدي بعزله. وفتح تحقيق معه. ومع ببقية القيادات الأمنية بعد الجزرة التي شهدتها المحافظة. لم تكن الحال في بغداد وبقية المحافظات المنتفضة أفضل من ذي قار: اعتصامات سلمية يقابلها القمع والرصاص. في تكرار لمشاهد الإعدام الحية. اخترقت رصاصة رأس رجل كبير في السن في شارع التربة في الناصرية. فجر اليوم ٢٨ تشرين الثاني/ نوفمبر. كان يحاول تهدئة قوات مكافحة الشغب والتحدث اليهم. وينقل شهود عيان أنهم رثّوا عليه بالرصاص مباشرة فأرذوه قتيلاً. جرى تخوين التظاهرات - التي مضى عليها اليوم شهران - وانتهامها بالعمالة لدول الغرب. كانت تلك ذريعة لإطفاء شعلتها. كان كلما ينتهي مفعول اتهام. يُخلَق آخر جديد. فصارت أحزاب السُلطة حريصة على مستقبل الحركة التعليمية المتوقفة! على الرغم من تدني مستوى التعليم. وخروج العراق من أي تصنيف دولي معترف به. وذلك منذ ٢٠٠٣. ثمّ أصبح حرق إطارات العجلات. عبناً بالبيئة وتخريباً للمال العام! وأخر ما جادت به صناعة المبررات. هو تهديد المرجع الشيعي الأعلى: علي السيستاني.

العراق ينتفض: أريد حقّي. أريد وطناً!

ليس سهلاً على الأحزاب التي تقسم مغانم العراق: النخلي عنها. هي في الغالب أحزابٌ تمتلك أجندة مُسلّحة. وتُشارك في العملية السياسية بمختلف سلطاتها. يمتلكون أيضاً الاستعداد الدائم على إعادة خلق صدام حسين. بنسخةٍ -ديمقراطية- مُدعّاة. فيعيدون إحياء أساليبه التي يتحججون بمعارضتها. تكرر غلق بعض القنوات التلفزيونية ووسائل الإعلام التي نقلت جانباً من أحداث التظاهرات: هي حُرّف الحقيقة! بينما أُبقت السلطات على قنوات أخرى - كقناة الأنوار (٢) - على الرغم من خريضاها



التي تطير باتجاه رؤوس الأبرياء. فقط لحماية مصالح تلك الأحزاب المقدّسة. تلك التي تعرّزت من قدسيتها. مع أول تخوين للشباب المنتفض. صادراً عن قاداتها. مرّة أخرى تفشل المبررات التي يطلقها الطائرون على السياسة والحياة. في إنهاء الاحتجاجات الشعبية في العراق. مرّة أخرى ينقلب مفعولها فتزداد أعداد المحتجين والمتضامنين مع الضحايا. لا شيء معلوم في غد الحياة العراقية. غير أنهم سيعيدون الكرّة. ويصنعون ذرائعاً جديدة لقتل الناس. ما على المحتجين إلا الموت في -العراق الجديد- عراق أمراء الطوائف وجّار الفساد. بالمقابل. يهدر نهر الشباب في العراق بنشيد «موطني». هؤلاء هم طلبة جامعات بغداد. قرروا منذ أيام الانضمام الى المنتفضين في ساحة التحرير فساروا باتجاهه. معلنين أنهم جزء من المجتمع... الجلال والجمال والسناء والبهاء في ريباك في ريباك. والحياة والنجاة والهناء والرجاء في هواك في هواك!

عن صحيفة السفير العربي